الالتفات وبلاغته

في الحديـــث الشريف

دكتور

سعد الدين كامل عبد العزيز شحاته

المدرس المساعد بقسم البلاغة والنقد

بكلية اللغة العربية بجرجا

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي نبينا محمد وعلي آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين وبعد

فأسلوب النبي-ﷺ- أسلوب منفرد في هذه اللغة، فإذا نظرت فيما صح نقله من كلام النبي-ﷺ- علي جهة الصناعتين اللغوية والبيانية، رأيته في الأولي مسدد اللفظ محكم الوضع جزل التركيب متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات: فخم الجملة واضح الصلة بين اللفظ ومعناه واللفظ وضريبة في التأليف والنسق، ثم لا ترى فيه حرفاً مضطرباً، ولا لفظة مستدعاة لمعناها أو مستكرهة عليه، ولا كلمة غيرها أتم منها أداءً للمعني وتأتيا لسره في الاستعمال؛ ورأيته في الثانية حسن المعرض، بين الجملة، واضح التفضيل، ظاهر الحدود، غريب اللمحة، ناصع البيان ثم لا ترى فيه إحالة ولا استكراها، ولا ترى اضطرابا ولا خطلاً، ولا استعانة من عجز، ولا توسعاً من ضيق، ولا ضعفاً في وجه من الوجوه"[1].

ومن كانت هذه خصائص أسلوبه فهو حقيق بأن يشمر الباحثون عن سواعد الجد ويجتهدوا لدراسته والتعمق فيه لتذوقه والإفادة منه في تربية النشء، وأسلوب الالتفات في بيانه الكريم- عليه الصلاة والسلام- جاء رائعاً محكماً مثيراً للنشاط النفسي لدى المتلقي؛ لذا كان اختياري لموضوع هذا البحث الذي عنونته بـــ "الالتفات وبلاغته في الحديث النبوي".

وقد حفزني إلي الكتابة فيه عدة حوافز أجملها في الآتي:

١- أنه لم يدرس الالتفات في الحديث النبوي الشريف- فيما أعلم- دراسة مستقلة تجلي خصائصه وتستكنه أسراره البلاغية.

٢- لم أجد البلاغيين القدأمي أو المحدثين استشهدوا بحديث واحد من أحاديث النبي-ﷺ- وكأن البيان النبوي قد خلال من هذا الأسلوب البلاغي- فكان هذا البحث ليسد ثغرة أو يضع لبنة متواضعة في صرح هذا العلم الشامخ، فتكثر

شواهد الالتفات وتتنوع مصادرها عند البلاغيين فبدلاً من الاقتصار علي الشواهد المتداولة من القرآن الكريم والشعر العربي يضاف إليها شواهد جديدة من مصدر ثري آخر وهو الحديث النبوي الشريف.

٣- ما يتمتع به كلام النبي-ﷺ- من ثراء في أغراضه ومعانية جعل من الالتفات البلاغي وسيلة بيانية استخدمها النبي في التعبير عن تلك الأغراض والمعاني.

٤- الرغبة في تذوق المزيد من البلاغة التطبيقية في البيان النبوي.

الخطة:

يتكون هذا البحث من مقدمة وفصلين وخاتمة وفهارس.

١. **المقدمة**: أتناول فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطته ومنهجه والدراسات السابقة فيه.

الفصل الأول: من قضايا الالتفات عند البلاغيين، وأتناول فيه:-

أولاً: المصطلح.

ثانياً: شروط الالتفات.

ثالثاً: القيمة الجمالية للالتفات.

الفصل الثاني: من صور الالتفات في الحديث النبوي.

الخاتمة: أذكر فيها أهم النتائج.

الفهارس: فهرس المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

أما المنهج المتبع في كتابة هذا البحث فهو المنهج الفني القائم علي أمرين:

الأول: تعيين موطن الالتفات في الحديث وبيان الصورة التي ينتمي إليها من صور الالتفات.

الثاني: محاولة استنباط سره وغرضه البلاغي.

ولم أتعرض لغير ذلك من الخصائص والنكات البلاغية في الأحاديث المستشهد بها نظراً لضيق المقام؛ ولأن هذه الخصائص وتلك النكات قد درست في مؤلفات أخرى.

وقد رأيت أن أكتفي هنا بتقديم مجموعة من الأحاديث النبوية التي جاء بها أسلوب الالتفات البلاغي علي قدر ما تسمح به المساحة المتاحة من هذه المجلة آملاً أن تتاح لي أو لغيري من الباحثين الفرصة لتقديم دراسة تقوم علي الاستقراء والحصر التام لكل ما جاء من صور لهذا الأسلوب في البيان النبوي كله. كما أن هذه الدراسة ستسير علي نهج الجمهور في تحديده لمفهوم الالتفات. ومما هو جدير بالذكر أن كلمة "الحديث" التي وردت في العنوان لم أقصرها على ما خرج من فم الرسول – صلى الله عليه وسلم– فحسب ، وإنما أردت ما هو المعتاد عند أهل الحديث وعلومه فقد ذكروا في أن المراد بـــ"الحديث" أعم، قال الطيبي: " الحديث أعم من أن يكون قول النبي – صلى الله عليه وسلم– والصحابي والتابعي وفعلهم وتقريرهم" [2]

الدراسات السابقة لأسلوب الالتفات:

أقصد تلك الدراسات التي أفردت الالتفات وخصته بالدراسة النظرية أو التطبيقية حتى يتضح وجه مغايرتها لدراستي هذه وحتى لا تكون دراستي تكراراً لما سبق من جهود مشكورة للعلماء في بحث الالتفات.

أولاً: من الناحية النظرية التاريخية التي أرخت لهذا الفن وبينت تطوره عند العلماء علي مرِّ العصور. وجدت دراستين متميزتين: الأولي: بعنوان الالتفات وأثره التاريخي للدكتور المحمدي عبد العزيز الحناوى الأستاذ المشارك بكلية الشريعة واللغة العربية– مجلة كلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود.والثانية: بعنوان أسلوب الالتفات دراسة تاريخية فنية للدكتور: نزيه عبد الحميد السيد فراج مدرس البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية– جامعة الأزهر – الطبعة الأولي ١٤٠٣هـــ– ١٩٨٣م.

ثانياً: من الناحية التطبيقية التي عملت علي استخراج هذا الفن البلاغي وأظهرت قيمته الجمالية والبلاغية– في نص أدبي عال. وجدت أيضاً دراستين غاية في الإتقان والروعة وهما تطبيقاً علي نص القرآن الكريم:

الأولي: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية للدكتور حسن طبل بكلية دار العلوم جامعة القاهرة.

الثانية: قبس من أسلوب الالتفات في القرآن الكريم صورة وإيحاء للأستاذ الدكتور/ عبد الموجود متولي كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالمنوفية كما أن الدكتور/ عز الدين علي السيد في كتابه الحديث النبوي من الوجهة البلاغية قد ذكر ستة أحاديث، وقام ببيان ما فيها من التفات وأثره في الأسلوب ولم أتعرض لأي من الأحاديث التي ذكرها ضمن الأحاديث التي أتيت بها في هذه الدراسة حتى لا يتكرر الجهد.

الفصل الأول

من قضايا الالتفات عند البلاغيين

أولاً: المصطلح

قبل البدء لابد من تحديد المصطلح وبيان اختلاف العلماء حوله:

أ- تحديد المصطلح في اللغة: يقال: لفته يلفته: لواه وصرفه عن رأيه ومنه الالتفات [3]، وفي تاج العروس من جواهر القاموس: لفته يلفته لفتاً: لواه علي غير جهته. واللفت: ليٌّ الشيء عن جهته، كما تقبض علي عنق إنسان فتلفته، ويقال: اللفت: الصرف يقال: لفته عن الشيء يلفته لفتا: صرفه قال الفراء في قوله تعالي: "أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا" اللفت: الصرف وتلفت إلي الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه قال تعالي: "ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك" أمر بترك الالتفات لئلا يرى عظيم ما يترل بهم من العذاب"[4].

ب- تحديد المصطلح عند البلاغيين :إن مصطلح الالتفات بدأ مختلطاً بغيره من فنون البلاغة الأخرى عند أئمة القرن الثالث والرابع الهجريين كالاعتراض والتذييل، ويتضح ذلك لمن يبحث عن مفهوم الالتفات عند عبد الله بن المعتز ت ٢٩٦هـ في كتابه "البديع"، وقدامه بن جعفر ت ٣٣٧هـ في كتابه "نقد الشعر"، وأبي هلال العسكري ت ٣٩٥هـ في كتابه "الصناعتين"، والباقلاني ٤٠٣هـ في كتابه "إعجاز القرآن"، وابن رشيق ت ٤٥٦هـ في كتابه "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده" فقد عرف ابن المعتز الالتفات بقوله: " هو انصراف المتكلم عن المخاطب إلي الإخبار، وعن الإخبار إلي المخاطبة، وما يشبه ذلك" ويقول في موضع آخر: " ومن الالتفات: الانصراف عن معني يكون فيه إلي معني آخر"[5].

أما قامة بن جعفر فيعرفه بقوله: "هو أن يكون الشاعر آخذاً في معني فكأنه يعترضه إما شك فيه، أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله، أو سائلاً عن سببه، فيعود راجعاً علي ما قدمه. فأما أن يؤكده أو يذكر سببه، أو يحل الشك فيه"[6].

أما أبو هلال العسكرى فيجعل الالتفات من أنواع البديع، ويقسمه إلي ضربين: الأول: " أن يفرغ المتكلم من المعني، فإذا ظننت أنه يريد تجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به"[7].

الضرب الثاني: هو " أن يكون الشاعر آخذاً في معني، وكأنه يعترضه شك أو ظن أن راداً يرد عليه قوله، أو سائلاً يسأله عن سببه، فيعود راجعاً إلي ما قدمه، فأما أن يؤكده، أو يذكر سببه، أو يزيل الشك عنه"[8].

أما ابن رشيق القيروإني فيعرف الالتفات بقوله: "هو الاعتراض عند قوم، وسماه آخرون الاستدراك"[9].

فإذا جئنا إلي الزمخشري ت ٥٣٨ وجدناه علي خلاف البلاغيين السابقين حيث يعرف الالتفات بلاغياً ويبين قيمته الجمالية بطريقة لم نعهدها من قبل.

فيعرفه بقوله: "فإن قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة إلي لفظ الخطاب؟ في قوله تعالي: "مالك يوم الدين إياك نعبدو إياك نستعين" قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان، قد يكون من الغيبة إلي الخطاب ومن الخطاب إلي الغيبة والغيبة إلي المتكلم كقوله تعالي: "حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم" وقوله تعالي: "والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه" وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات:

تطـــاول ليلـــك بالأثمـــد ∴ ونـــام الخلـــي ولم ترقـــد

وبـــات وباتـــت لـــه ليلـــة ∴ كليلـــة ذى العـــائر الأرمـــد

وذلـــك مـــن نبـــأ جـــاءني ∴ وخبرتـــه عـــن أبي الأســـود

وذلك علي عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه[10].

الالتفات عند السكاكي ت ٦٢٦:

من ينظر في كلام السكاكي عن الالتفات يرى جلياً أنه قد تأثر بالزمخشري في كل ما قاله عن الالتفات سواء في تحديد مفهومه أو في بيان قيمته الجمالية قال السكاكي في تحديد مفهوم الالتفات: "هذا غير مختص بالمسند إليه ولا بهذا القدر بل التكلم والخطاب والغيبة مطلقاً ينقل كل واحد منهما إلي الآخر ويسمى هذا التفاتاً عند علماء المعاني"[11]، وذكر الشيخ عبد المتعال الصعيدى في البغية أن مذهب السكاكي في الالتفات هو مذهب الزمخشري، ولعله استمد هذا الرأي من الشيخ سعد الدين التفتازاني في المطول حينما علق علي كلام الزمخشري في أبيات أمرئ القيس أن بها ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات فقال: " ظاهر أن مذهب السكاكي موافق لمذهبه"[12]، وإلي هذا الرأي تأثر السكاكي بالزمخشري في تعريف الالتفات وذهب الشيخ أبو موسى إلي أن طريقة الزمخشري ارتضاها السكاكي وسار عليها[13].

أما الالتفات عند ابن الأثير ت ٦٣٧هـ فقد وسع من دائرته فبين أنه نوع من الكلام ينتقل فيه من صيغته إلي صيغة أخرى كالانتقال من خطاب حاضر إلي غائب، أو من خطاب غائب إلي حاضر، أو من فعل ماض إلي مستقبل، أو من مستقبل إلي ماض أو غير ذلك[14].

وابن الأثير يجعله خلاصة علم البيان ويجعل حقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، ويطلق عليه شجاعة العربية؛ لأن الشجاعة هي الإقدام فالرجل الشجاع يركب مالا يستطيعه غيره ويتورد ما لا يتورده سواه وكذلك هذا الالتفات في الكلام، كما يجعله مختص باللغة العربية دون غيرها من اللغات.

تعريف الالتفات عند الخطيب القزويني ت٧٣٩هـ هو التعبير عن معني بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها [15].

الخلاصة:

١- هناك علماء كثيرون بحثوا الالتفات في مؤلفاتهم، فمنهم من أشار إليه دون تعريف، ومنهم من عرفه، وأقدم إشارة إلي هذا الأسلوب كانت من أبي عبيدة معمر بن المثني ت ٢١٠ وذلك أثناء تعليقه علي بعض آيات من كتاب الله [16]، وأقدم من أطلق علي هذا اللون التفاتا هو الأصمعي ت ٢١٦ كما حكى ذلك ابن رشيق حيث قال: حكى عن إسحق الموصلي أنه قال: قال الأصمعي: أتعرف التفات جرير؟ قلت: وما هو؟ فأنشدني:

أتنسى إذا تودعنا سليمى بعود بشامة سقى البشام

ثم قال: ألا تراه مقبلاً علي شعره؟ إذا التفت إلي البشام فدعا له" [17][18].

٢- مصطلح الالتفات بدأ مختلطاً بغيره من المصطلحات البلاغية الأخرى. ويعلل بعض الباحثين المحدثين شيوع مصطلح الالتفات عنوانا لتلك الظاهرة لشيوعه وكثرة تردده في الموروث النقدى والبلاغي بالقياس إلي المصطلحات الأخرى من جهة واستقلاله- دونها بمبحث من مباحث البلاغة ولاسيما في عصورها المتأخرة من جهة أخرى، ولأن معالجات البلاغيين قد أدت إلي تحديد طبيعة هذه الظاهرة، والكشف عن كثير من ألوانها وأسرارها البيانية والجمالية من جهة ثالثة، كما أن في المدلول اللغوى للالتفات ما يدعم ذلك أيضاً فالمادة اللغوية أو المعجمية للالتفات تدور في عمومها- كما نرى- حول محور دلالي واحد هو التحول أو الانحراف عن المألوف من القيم أو الأوضاع أو أنماط السلوك وهو ما يبرر إيثاره في تسمية تلك الظاهرة التي نحن بصددها والتي تتمثل في كل تحول أسلوب أو انحراف- غير متوقع- علي نمط من أنماط اللغة[19].

٣- تأثر السكاكي بالزمخشري في تعريفه للالتفات وفي بيان قيمته الجمالية كما سنرى عند الحديث عن قيمة الالتفات الجمالية.

٤- تأثر ابن الأثير في حديثه عن تعريف الالتفات بكل من سبقه وخاصة الزمخشري والسكاكي، كما أنه توسع في دراسته لهذا الفن.

٥- يمكن أن نقول: إن هناك مذهبين في تحديد مصطلح الالتفات وتعريفه هما:

أ- مذهب السكاكي الذي أخذه عن الزمخشري.

ب- مذهب الجمهور وأخذ به الخطيب القزويني، وهو الشائع المشهور في كتب البلاغة وعليه سار أكثر المؤلفين في البلاغة إلي يومنا هذا. وعليه تسير هذه الدراسة إن شاء الله.

ثانياً: شروط الالتفات عند الجمهور:

وضع الجمهور للالتفات شروطاً:

الأول : أن يكون التعبير الثاني علي خلاف ما يقتضيه ظاهر الكلام يقول ابن يعقوب المغربى "لابد بعد مخالفة التعبير الثاني للأول مع اتحاد المعني- من كون الثاني جارياً علي خلاف ظاهر الكلام بأن يكون علي خلاف ما يرتقب السامع"[20]، وبنحو ذلك قال سعد الدين في المطول[21]. وهذا الشرط يخرج نحو: أنا زيد أنت عمرو؛ لأنه وإن كان يصدق علي كل منهما أنه قد عبر فيه عن معني وهو الذات بطريق الغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر وهو التكلم في الأول والخطاب في الثاني إلا أن التعبير الثاني يقتضيه ظاهر الكلام ويترقبه السامع، لأن المتكلم إذا قال أنا أو أنت ترقب السامع أن يأتى بعده اسم ظاهر خبراً عنه، لأن الإخبار عن الضمير إنما يكون بالاسم الظاهر فالإخبار بالاسم الظاهر وإن كان من قبيل الغيبة عن ضمير المتكلم أو المخاطب إلا أنه جار علي ما يستعمل في الكلام[22]، وبناء علي هذا الشرط أيضاً يخرج ما جاء علي لفظ الغيبة في صلة الموصول خبراً عن التكلم أو الخطاب في مثل قولنا: نحن الذين نعرف الحق والعمل به، وأنت الذي أدى ما عليه، " لأن حق العائد علي الموصول أن يكون بلفظ الغيبة"[23].

الشرط الثاني: أن يكون المقصود بالضمير الثاني هو المقصود بالأول قال بهاء الدين السبكي: "وشرطه أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلي الملتفت عنه" [24]، ويخرج هذا الشرط مثل قولهم: أكرم زيداً وأحسن إليه. لأن ضمير الفاعل لكلا الفعلين (أكرم وأحسن) غير ضمير الغائب المتصل بحرف الجر "إلي" كما لا يخفي[25].

الشرط الثالث: أن يكون الالتفات في جملتين، وقد صرح بذلك صاحب الكشاف وغيره[26]. وقد نوقش هذا الشرط بما مفاده جواز الالتفات في الجملة الوحدة[27][28].

الشرط الرابع: أن يكون المخاطب في الحالتين واحداً ليخرج من الالتفات مثل قول جرير:

ثقي بالله ليس له شريك ... ومن عند الخليفة بالنجاح

أغثني يا فداك أبي وأمي ... بسبب منك أنك ذو ارتياح

إذ المخاطب بالأول امرأته، وبالثاني الخليفة، وذكره السعد ولم يعقب أمارة بقبوله، وعلق عليه السيد في حاشيته علي المطول بما يفيد قبوله عنده أيضاً[29].

الخلاصة:

١- ذكر البلاغيون أربعة شروط للالتفات.

٢- علق أحد الباحثين المعاصرين علي هذه الشروط بقوله: " وأحسب أن الشرط الثالث يغني عنه الأول ما دام الالتفات يتوقف علي تعبيرين ثانيهما علي خلاف ما يقتضيه ظاهر الكلام وإن كان المتبادر إلي الذهن أن المراد بالتعبيرين طريقان من الطرق الثلاثة المعروفة لكن من ينتبه إلي المناقشة المذكورة يدرك أنهما لا يكونان إلا في جملتين وإن كانتا طرفين لجملة واحدة، أما الرابع فإن اتحاد المعني مع اختلاف التعبيرين كما هو منطوق الشرط الثاني يغني عنه[30].

ثالثاً: القيمة الجمالية لأسلوب الالتفات:

قد أفاض علماء البلاغة قديماً وحديثاً في بيانهم عن القيمة الجمالية للالتفات وخير من وضح هذه القيمة في القديم هو الزمخشري في تعليقه علي الآيات التي جاء بها التفات فيقول: إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلي أسلوب كان أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه علي أسلوب واحد ويقول أيضاً في أثناء تعليقه علي الالتفات في الفاتحة: "وقد تختص مواقعه بفوائد، ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل: إياك يا من هذه صفاته تخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه، ليكون الخطاب أدل علي أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به"[31].

والنكتة العامة التي تدعو إلي الالتفات في كل أقسامه هي: تنشيط السامع وإيقاظه للاستماع؛ لأن النفس مجبولة علي حب المتجدد، فإذا نقل الكلام من أسلوب إلي أسلوب آخر كان أدعى للإقبال عليه.

ويذكر أحد الباحثين المعاصرين أن الالتفات من الأساليب البلاغية ذات اللطائف النفسية، فهو يحدث في النفس حركة الانتباه قصداً ليتقرر فيها ما تلتفت إليه تنشيطاً لداعي التأثر به، ويذكر له عدة فوائد منها الفائدة الأولي: فنية التنويع في العبارة، المثير لانتباه المتلقي والباعث لنشاطه في استقبال ما يوجه له من كلام والإصغاء إليه والتفكير فيه. الفائدة الثانية: الاقتصاد والإيجاز في التعبير. الفائدة الثالثة: إفادة معني تتضمنه العبارة التي حصل الالتفات إليها، وهذا المعني لا يستفاد إذا جرى الكلام وفق مقتضى الظاهر. [32].

الخلاصة:

أن علماء البلاغة قديماً وحديثاً أفاضوا في حديثهم عن جمال الالتفات ومع ذلك نرى أن كل التفات يتمتع بقيمة جمالية خاصة به كانت هي السب من وراء إيثار المتكلم لاستعمال هذا الأسلوب وتفضيله علي غيره مما يجرى علي وفق مقتضى الظاهرة وسيتضح ذلك جلياً في الفصل الثاني عند دراسة صور من هذا الأسلوب في الحديث النبوي الشريف.

الفصل الثاني

من صور الالتفات في الحديث النبوي

قبل البدء في ذكر صور الالتفات في الحديث النبوي يجمل بي أن أنوه إلي:

١- عدم ورود الالتفات في الحديث النبوي علي صورتي العدول من الخطاب إلي التكلم، والعدول من التكلم إلي الخطاب فيما استطعت قراءته من الأحاديث النبوية الشريفة في الصحيحين، ولكنني لا أستطيع الجزم بخلو الحديث النبوي من هاتين الصورتين لأني لم أقم بقراءة الكتب الصحاح والسنن كلها التي استوعبت كل أحاديث النبي-ﷺ-.

٢- أن هاتين الصورتين: العدول من الخطاب إلي التكلم، والعدول من التكلم إلي الخطاب علي فرض وجودهما في الحديث النبوي سيكونان في حديث أو اثنين؛ لأن ورودهما في القرآن الكريم كان قليلاً جداً فصورة الانتقال من التكلم إلي الخطاب ما ورد من القرآن الكريم عليها لا يتجاوز ثلاثة أمثلة لا يخلو اثنان منها من المناقشة[33]، كما أن الزركشى والسيوطي ذهبا إلي عدم ورود الالتفات في القرآن الكريم علي صورة العدول من الخطاب إلي التكلم، لكن أحد الباحثين المعاصرين استدرك عليهما صورة واحدة[34]. هذا ما أردت التنويه إليه.

أولاً: الانتقال من الغيبة إلي التكلم:

١- حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني عامر بن سعد بن أبي وقاص عن سعد-رضي الله عنه- أن رسول الله-ﷺ- أعطى رهطاً- وسعد جالس- ، فترك رسول الله-ﷺ- رجلاً هو أعجبهم إلي"[35]

يبين هذا الحديث حكمة من حكم النبي-ﷺ- في تقسيم العطاء علي صحابته- رضوان الله عليهم- قد تخفي علي بعض الصحابة، فيحكى لنا سيدنا سعد بن أبي وقاص أنه كان جالساً عند النبي، وهو يعطى رهطاً من صحابته نترك رجلاً منهم

لم يعطه، فخفي علي سعد الحكمة من منع النبي العطاء عن هذا الرجل، فأراد عن أن يلفت انتباه النبي عن طريق السؤال عن السبب فقال: مالك عن فلان؟ ثم زكاه بقوله: والله إني لأراه مؤمنا أو مسلماً فلم يجبه النبي-ﷺ- و يزكى الرجل مرة ثانية، فلم يجبه النبي-ﷺ- ثم عاد في المرة الثالثة فأجابه النبي-ﷺ- ببيان الحكمة قائلاً يا سعد إني لأعطى الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكتبه الله في النار.

والالتفات وقع في قوله: هو أعجبهم إلي؛ لأن مقتضى الظاهر أن يقال: هو أعجبهم إليه أي إلى سعد بن أبي وقاص، لأن عامر قال: وسعد جالس فدل ذلك علي أن عامر هو الذي يحكى كلام سعد فانتقل في كلامه من ضمير الغائب إلي ضمير المتكلم ليضرب أوتار النفس ويزيدها تنبيها وإيقاظاً وهزاً وتحريكاً، وكأن هذا الإعجاب بذلك الرجل لم يلحق سعد فقط وإنما لحق عامر أيضاً الذي يروى الحديث عن أبيه سعد، ومن ثم يكون هذا الإعجاب جديراً بأن يلحق كل مخاطب وكل سامع وبذلك يكون قد تحقق الغرض من الإتيان بالالتفات وإيثاره علي غيره من أساليب إجراء الكلام وفق مقتضى الظاهر.

أما قوله: " وسعد جالس" ففيه وجهان: الأول أن يكون فيه التفات علي قول صاحب المفتاح من التكلم الذي هو مقتضى الظاهر إلي الغيبة، وأما علي قول غيره، فليس فيه التفات لأنهم شرطوا أن يكون الانتقال من التكلم والخطاب والغيبة محققاً وصاحب المفتاح لم يشترط ذلك بل قال الانتقال وهو أعم من أن يكون محققاً أو مقدراً.

والوجه الثاني: أن يكون من التجريد، وهو أن يجرد من نفسه شخصاً ويخبر عنه، وذلك أن القياس في قوله: وسعد جالس أن يقول: وأنا جالس، ولكنه جرد من نفسه شخصاً آخر وأخبر عنه بقوله: جالس"[36]، ونحن نميل إلي أن هذه الصورة من صور الالتفات وقسم من أقسامه حتى يتحقق غرض المتكلم فهو يخيل إليه أنه يحكى هذا الأمر الهام ويرويه لكل عاقل حتى يتأثر به.

٢- عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: قالت عائشة: أرق النبي-ﷺ- ذات ليلة فقال: "ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة" إذ سمعنا صوت السلاح قال: من هذا؟ قيل سعد يا رسول الله جئت أحرسك فنام النبي-ﷺ- حتى سمعنا غطيطه"[37].

تحكى السيد عائشة- رضي الله عنها- قصة أرق النبي-ﷺ- ذات ليلة وطلبه رجلاً صالحاً يحب الله ورسوله من أصحابه ليحرسه في هذه الليلة وهو نائم، فإذا بسيدنا سعد يسرع ويمتثل لرغبة النبي-ﷺ- لينال هذا الشرف العظيم فيعد العدة ويلبس السلاح، ومن سرعته في الامتثال يسمع صوت سلاحه فيستفهم النبي-ﷺ- عن هذا الصحابي فيخبر بأنه سيدنا سعد جاء ليحرسه، فينام النبي-ﷺ- نوماً هادءاً عميقاً حتى سمع الصحابة غطيطه.

وهذا الحديث فيه انتقال من أسلوب إلي أسلوب ومن ضمير إلي ضمير تنويعاً في العبارة وإثارة الانتباه المتلقين، فالخطاب في قول السيدة عائشة: قيل سعد يا رسول الله" خطاب غائب وكان مقتضى الظاهر أن تستمر السيدة عائشة في الإخبار بصيغة الغائب فتقول: "جاء يحرسك" إلا أنها رضي الله عنها خالفت هذا المقتضى وانتقلت إلي أسلوب التكلم فقالت علي لسان سيدنا سعد: "جئت أحرسك" وكأنها بهذا الصنيع في المغايرة في الأسلوب تنبهنا إلي شجاعة سيدنا سعد وحبه الشديد للنبي-ﷺ- واستعداده أن يفديه بنفسه وروحه لذا لم تحك عنه السيدة عائشة وإنما تركته يتحدث عن نفسه ويظهر رغبته إلي حيز الوجود العملي، فقبل أن يتحدث برغبته ليسمعه الناس سبق حديثه القولي فعله العملي فأعد العدة وتأهب لحراسة النبي الأكرم فسمع الصحابة صوت سلاحه، ومما لا شك فيه أن كل الصحابة – رضي الله عنهم لا يقلون" عن سيدنا سعد في حبهم للنبي-ﷺ- ورغبتهم في فدائه بأرواحهم. وهذا المعني الذي أرادت السيد عائشة أن تنص عليه وتظهره عند سيدنا سعد وبل وعند الصحابة أجمعين، وهو تفانيهم في فدائه-ﷺ- بأرواحهم وما كان ليتمكن هذا المعنى في نفوس

المخاطبين بغير هذا الالتفات، ففيه معني غير مباشر لا يستفاد إلا به، ومعلوم أن الطرق غير المباشرة تكون أكثر تأثيراً من الطرق المباشرة حينما تقتضي أحوال المتلقين ذلك.

٣- حدثنا أحمد بن يونس حدثنا أبو شهاب عن خالد الحذاء عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية- رضي الله عنها- قالت: بعث إلي نسيبة الأنصارية بشاة فأرسلت إلي عائشة- رضي الله عنها- منها فقال النبي-ﷺ- عندكم شيء فقلت لا إلا ما أرسلت به نسيبة من تلك الشاة فقال: هات فقد بلغت محلها[38].

تحكى أم عطية وهي نسيبة الأنصارية قصة إرسال شاة إليها مع عدم نصها علي من أرسل تلك الشاة إليها هكذا ببناء الفعل للمجهول فأرسلت إلي السيدة عائشة- رضي الله عنها- منها شيئاً علي سبيل الهدية، فسأل النبي-ﷺ- عائشة طعاماً عندها فقالت لا يا رسول الله إلا ما أرسلته نسيبة "أم عطية" من تلك الشاة التي أرسلت إليها، فقال هات فقد بلغت محلها.

فأم عطية هي نسيبة الأنصارية كما في رواية ابن السكن عن الفريرى. عن البخاري في آخر هذا الحديث. وكان السياق يقتضى أن يقول: بعث إليَّ بلفظ ضمير المتكلم المجرور كما وقع عند مسلم من طريق ابن عليه عن خالد، لكنه في هذا السياق وضع الظاهر "نسيبة الأنصارية" الذي هو من قبيل الغائب موضع الضمير "ضمير المتكلم الياء" علي سبيل الالتفات من التكلم إلي الغيبة حتى تظهر أم عطية وكأنها تحكى هذا الأمر فيضرب أوتار النفس فيزيدها تنبها وإيقاظاً.

٤- حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا زهير قال حدثني زيد بن جبير أنه أتى عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- في مترله وله فسطاط وسرادق فسألته من أين يجوز أن أعتمر قال فرضها رسول الله-ﷺ- لأهل نجد قرنا ولأهل المدينة ذا الحليفة ولأهل الشام الجحفة" [39].

الفسطاط معروف وهي الخيمة، السرادق: ما أحاط بالشيء . ومعني فرضها: أى قدَّرها وعينها، ويحتمل أن يكون المراد أوجبها فهذا الصحابي الجليل زيد بن جبير سأل سيدنا عبد الله بن عمر عن ميقاته إذا أراد العمرة، فبين له عبد الله بن عمر المواقيت التي أوجبها وعينها النبي-ﷺ- لكل من أراد العمرة في أى قطر إسلامي فأهل نجد ميقاتهم قرن وأهل المدينة ميقاتهم ذا الحليفة، والجحفة ميقات أهل الشام.

فقوله: "فسألته" التفات من الغيبة في قوله: أنه أتى عبد الله بن عمر" إلي التكلم في قوله: فسألته من أين يجوز أن أعتمر، لأنه قال أولاً إنه أتى ابن عمر فكان السياق يقتضى أن يقول: فسأله ولعل زيد بن جبير صنع تلك المغايرة حتى لا يسأم المخاطب من الاستمرار علي أسلوب واحد في الكلام، فأراد أن يثير فنية التنويع في العبارة.

٥- حدثنا حدمى بن حفص قال حدثنا عبد الواحد قال حدثنا عمارة قال حدثنا أبو زرعه ابن عمرو بن جرير قال سمعت أبا هريرة عن النبي-ﷺ- قال: انتدب الله- عز وجل- لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بى وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة ولولا أن أشق علي أمتى ما قعدت خلف سرية ولوددت إني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل" (40)

يبين النبي -ﷺ- في هذا الحديث أجر المجاهدين المخلصين في سبيل الله فإما الأجر والغنيمة وإما الاستشهاد ودخول الجنة، ثم لمزيد فضل الاستشهاد في سبيل الله يتمني النبي -ﷺ- أن يقتل في سبيل الله ثم يحيا ثم يقتل ثم يحيا ثم يقتل ثم يحيا.

وموطن الالتفات في هذا الحديث في قوله: "انتدب الله – عز وجل- لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي" فالانتقال من الغيبة "الله" لأن الاسم الظاهر من قبيل الغائب إلي المتكلم في قوله: " إلا إيمان بى" وكان الأصل إلا إيمان به حتى يكون الكلام جارياً علي أسلوب واحد لما للالتفات من أثر بالغ في النفس في هذه المواضع التي

يطلب فيها التقرير واسترعاء الانتباه حتى يصل المتكلم إلي غرضه من امتثال المخاطب فدائماً ضمير المتكلم أحرى بالقبول لدى المخاطب من ضمير الغائب فالقضية بذل روح وما دونها في سبيل الله- تعالي- لا يستطيعه إلا من وفقه الله؛ لذا استدعت الانتقال من الغيبة إلي المواجهة لتهز أعماق النفس وتلمس بشاشة القلوب فتمتثل ببذل أرواحها وكل هذا لا يتحقق إذا استمر الأسلوب علي لفظ الغيبة هكذا الافتنان في الأسلوب والخروج فيه من صنف إلي صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش النفوس للقبول كما أن هذا الالتفات يقتضي خلوص نية المجاهد وعدم ريائه.

٦- قال النبي-ﷺ- : إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً ولا يعضد فيها شجرة فإن أحداً ترخص لقتال رسول الله-ﷺ- فيها فقولوا إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب" (41) .

وهذا الحديث يتحدث عن حرمة مكة ومكانتها عند الله- تعالي- جعلها حرماً آمنا، لا يسفك فيها دم ولا يعضد شجرها ولا يحل لامرئ أن ينتهك هذه الحرمة، وقد أذن الله لرسوله ساعة من نهار ثم عادت حرمتها كما كانت بالأمس ولأهمية هذا الأمر استشهد النبي-ﷺ- بالحاضرين علي الغائبين وأمرهم بتبليغ هذا الأمر إليهم.

والالتفات هنا من الغيبة في قوله : لرسول إلي التكلم في قوله : وإنما أذن لي حيث كان مقتضى الظاهر والسياق أن يقول : وإنما أذن له أي رسوله ، وقيمة هذا الالتفات لا تقف عند كونه مجرد تطرية لنشاط السامع والإيقاظ للإصغاء لما يلقى إليه وإنما يتعدى ذلك إلي تقرير وتأكيد حرمه مكة وأنها لم تحل إلا ساعة من نهار لرسوله-ﷺ- لذا كان حديث النبي بياء المتكلم عن نفسه أكد للمخاطب فلم يبلغ عنه-ﷺ- وإنما قصه هو مسيراً إلي ذاته، وهذا المعني قد لا يستفاد إذا جرى الكلام وفق مقتضى الظاهر(التعبير بضمير الغائب).

٧- حدثنا إسماعيل قال حدثني مالك عن مخرمة بن سليمان عن كريب مولي ابن عباس أن عبد الله بن عباس أخبره: أنه بات ليلة عند ميمونة زوج النبي-ﷺ- وهي خالته فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله-ﷺ- وأهله في طولها فنام رسول الله-ﷺ- حتى إذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ رسول الله-ﷺ- فجلس يمسح الدمع عن وجهه بيده ثم قرأ العشر الخواتم من سورة آل عمران ثم قام إلي شن معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلي قال ابن عباس فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقمت إلي جنبه فوضع يده اليمني علي رأسي وأخذ بأذني اليمني يفتلها فصلي ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى أتاه المؤذن فقام فصلي ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلي الصبح".[42]

هذا الحديث يبين حرص النبي-ﷺ- علي قيام الليل.

الالتفات هنا من الغيبة في قوله: إنه بات ليلة إلي التكلم في قوله: "فاضطجعت في عرض الوسادة" وكان مقتضى الظاهر أن يقول: فاضطجع لأنه قال قبل ذلك إنه بات وهذا العدول لما للالتفات من أثر في تنبيه نفس المتلقي لما يلقى إليه من حرص النبي -ﷺ- علي قيام الليل وكيفيته إذا أداه ركعتين ركعتين وفي هذا حث للمخاطبين علي التمسك بهذه السنة وخصوصاً في هذه الأيام التي كثرت فيها المحن علي ما في عبارة الالتفات من الاقتصاد والإيجاز والتنوع في التعبير.

٨- عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله-ﷺ- قال: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بما أرسلت به إلا كان من أصحاب النار".[43]

يبين هذا الحديث أن كل من لم يؤمن برسالة النبي-ﷺ- فهو من أصحاب النار، ولا يقبل الله- عز وجل- منه صرفاً ولا عدلاً. والالتفات جاء من الغيبة في قوله: "نفس محمد بيده" إلي التكلم في قوله: "لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودي

أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بما أرسلت به" فمقتضى الظاهر أن يقول: والذي أنا بيده" والواو أداة قسم وإيثار اسم الموصول دون لفظ الجلالة ليكون مقسماً به لإبراز جملة الصلة وإظهارها إلي حيز الوجود حيث أن اسم الموصول مفتقر إليها وهذه الجملة مشتملة علي أمر هام وهو أن النفس يمتلكها الله – تعالي– ويتصرف فيها كيفما شاء وهي أخص وفي كلمة "نفسي" تجريد لأن النبي–ﷺ– جرد اسمه "محمد" نفسي لتكون الدلالة علي ملكية الله – تعالي– للنبي وإقرار النبي بذلك وأبلغ في نفوس المخاطبين، وبعد أن عبر النبي بالغيبة عدل إلي التكلم لينبه المخاطبين إلي ما ينبغي عليهم فعله نحو رسالة النبي–ﷺ– من وجوب الإيمان بها لأن مرسلها هو الله الذي له الملكية المطلقة للإنسان، وإذا كان الخطاب هنا لليهود والنصارى فهو عام لكل المخاطبين.

٩– قال –ﷺ–:"إن الله أعطاني فيما منَّ به عليَّ أني أعطيتك فاتحة الكتاب، وهي من كنوز عرشي، ثم قسمتها بيني وبينك نصفين" [44].

ففي الحديث التفات من الغيبة في قوله إن الله أعطاني إلي التكلم إني أعطيتك فاتحة الكتاب.

سرُّ بلاغة هذا الالتفات بيان منزلة أم الكتاب الفاتحة وبيان فضلها عند الله تعالي فهي من أجل النعم التي أعطاها الله– تعالي– لرسوله–ﷺ– فهي مخبوءة ومدخرة تحت العرش؛ لذا ناسبها مقام التكلم "أعطيتك" الذي به حضور أمام الله– عز وجل– المعطى.

ثانياً: الانتقال من الغيبة إلي الخطاب:

١– قال النبي–ﷺ– إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره ولكن شرقوا أو غربوا" [45].

الغائط: محل قضاء الحاجة كني به–ﷺ– عن العذرة كراهة لاسمه فصار حقيقة عرفية غلبت علي الحقيقة اللغوية والقبلة: الكعبة فلا يتوجه إليها عند قضاء الحاجة ولا يجعلها مقابل ظهره سواء ببول أو بغائط ولكن يتوجه إلي جهة المشرق أو المغرب. قال

شراح الحديث هو لأهل المدينة ومن مثلهم كالشام واليمن، فممن قبلته إلي المشرق أو المغرب يحرف إلي الجنوب أو الشمال.

الالتفات من الغيبة في قوله: "إذا أتى أحدكم الغائط" إلي الخطاب في قوله "ولكن شرقوا أو غربوا" وسره البلاغي رغبة النبي-ﷺ- في امتثال المخاطبين لأمره حتى يحفظ اتجاه القبلة من الأذى، فانتقل من الغيبة إلي المواجهة حتى يضمن إصغاءهم إلي إرشاده ومن ثم امتثالهم لأمره هكذا الافتنان في الكلام والخروج فيه من صنف إلي صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش النفوس للقبول.

٢- عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله-ﷺ- قال: حق المسلم علي المسلم ست قيل: ماهن؟ يا رسول الله قال: إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه"[46].

يبين النبي-ﷺ- في هذا الحديث حق المسلمين علي بعضهم وجمعها النبي-ﷺ- قوله ست تم فصلها، وحينما نتأمل هذه الحقوق نجد أنها شملت كل مناحي المسلمين الاجتماعية فإذا التزموا بها نعموا بتلك الحياة.

والالتفات من الغيبة في قوله: "حق المسلم علي المسلم" إلي الخطاب في قوله: "إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك .....

فمتقضى الظاهر أن يستمر النبي-ﷺ- بلفظ الغائب في الجواب فيقول: إذا لقيته فيسلم عليه.....

ولكنه عدل من الاستمرار علي الغيبة إلي الخطاب لما فيه من شعور المخاطبين بالإقبال عليهم من المتكلم وخصوصاً إذا كان المتكلم هو النبي-ﷺ- فيكون هذا أدعى لامتثالهم وأقرب لاستجابتهم لما جاء في الحديث؛ لأن كل مخاطب يشعر أنه هو المعني بهذا الخطاب وأن النبي-ﷺ- يقبل عليه وحده.

٣- عن عائشة زوج النبي-ﷺ- أنها قالت لرسول الله-ﷺ- يا رسول الله إن صفية بنت حيى قد حاضت قال رسول الله-ﷺ-: لعلها تحبسنا ألم تكن طافت ؟ فقالوا: بلي قال: فاخرجي" [47].

هذا الحديث يبين حكماً شرعياً وهو حكم المرأة التي تحيض أثناء أداء النسك.

الالتفات من الغيبة في قوله: إن صفية قد حاضت" إلي الخطاب في قوله: "فاخرجي" وكان مقتضى الظاهر أن يقول: أخرجيها، لأن الخطاب كان موجهاً إلي السيدة عائشة- رضي الله عنها- ولم يكن موجهاً إلي صفية فالتفت إليها النبي -ﷺ- مخاطباً لها بقوله: اخرجي، وكأن النبي-ﷺ- يقبل عليها ويوجهها إلي الخروج إذ لا يجوز لها التأخر لأنها قد طافت طواف الركن ولم يبق عليها فرض. وهذا الالتفات قد تحقق فيه الإيجاز ولاقتصاد في التعبير وتلقى الأمر مباشرة عن طريق الأمر وليس عن طريق الوسائط وهذا أدعى لقبوله والامتثال له.

ثالثاً: الانتقال من الخطاب إلي الغيبة:

١- عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله-ﷺ- يقول: إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها فجعل يترعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها" وفي رواية الكشميهني "وهم يقتحمون فيها" [48].

هذا الحديث يبين حرص النبي-ﷺ- علي أمته فيضرب لهم مثلاً يوضح حاله معهم فهو-ﷺ- يدلهم علي الخيرات ويمنعهم من كل ما يكون سبباً في دخولهم النار ولكنهم يتفلتون منه ويتبعون الشيطان وأهواءهم مما يكون سبباً في دخولهم النار.

الالتفات علي رواية الكشميهني "وهم يقتحمون فيها" فالانتقال من الخطاب في قوله: آخذ بحجزكم عن النار" إلي الغيبة في قوله "وهم يقتحمون فيها" وهذا العدول عن مقتضى الظاهر أكسب السامع نشاطاً وتنبيها ولفتاً وإيقاظاً إلي مزيد حرص النبي

-ﷺ- علي نجاة أمته من النار كما أن فيه زيادة مبالغة فكأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم الإنكار والتقبيح لإتباعهم الشيطان.

٢- قال-ﷺ-: "ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن وجدتم للمسلم مخرجاً فخلوا سبيله فإن الإمام لأن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة" [49].

يبين النبي-ﷺ- أنه يجب دفع العقوبات المقدرة عن المسلمين إلا بأمر متيقن لا يتطرق إليه التأويل، فإن الحاكم خطؤه في العفو خير من خطئه في العقوبة، وخير اسم فاعل علي غير بابه إذ لا خير في الخطأ بالعقوبة وإنما يحمل ذلك علي الترهيب من المؤاخذة.

الالتفات من الخطاب في قوله: "إدرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن وجدتم" إلي الغيبة في قوله: "فإن الإمام لأن يخطئ" فمقتضى الظاهر أن يقول: "فإن أخطأتم في العفو خير من أن تخطئوا في العقوبة" بالخطاب لكن هذا الخروج إلي الغيبة فيه معني لا يستفاد بغيره من الطرق المباشرة ذلك أن أحوال المخاطبين تقتضى حثهم علي إظهار الرأفة والرحمة، فمن حق إمام المسلمين وقائدهم أن يرجح سبيل العفو ما أمكن وهذه الرأفة وتلك الرحمة مع غير شرير متظاهر بالإيذاء والفساد لأنه لا يدرأ عنه.

٣- قال -ﷺ- "أنزل الله جبريل في أحسن ما كان يأتيني في صورة فقال: إن الله تعالي يقرئك السلام يا محمد ويقول لك: إني أوحيت إلي الدنيا أن تمرري وتكدري وتضيقي وتشددي علي أوليائي كى يحبوا لقائي فإني خلقتها سجناً لأوليائي وجنة لأعدائي" [50].

فقوله: "فإني خلقتها" فيه التفات من الحضور إلي الغيبة إذ الأصل خلقتك فلفظ "الدنيا" اسم ظاهر من قبيل ضمير الغائب أى يقوم مقامه..

وسر بلاغة هذا الالتفات بيان محبة الله– عز وجل– لأوليائه فإنه سبحانه يبتلي خواص عباده ويضيق الدنيا عليهم حتى ينفرهم منها ويحبوا لقاءه.

رابعا: الانتقال من التكلم إلي الغيبة:

١– حدثنا إسماعيل بن عبد الله قال حدثنا ابن و هب عن يونس عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير أن عائشة – رضي الله عنها – قالت لما استخلف أبو بكر الصديق قال لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي و شغلت بأمر المسلمين فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال و يحترف للمسلمين فيه «[51]».

تروى السيدة عائشة – رضي الله عنها –حال أبي بكر حين استخلف علي المسلمين و شغل بأمرهم عن تدبير معاش أهله . الالتفات وقع من التكلم في قوله :'' لقد علم قومي أن حرفتي .....'' إلي الغيبة في قوله :'' فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال '' و هذا العدول و الخروج عن مقتضى الظاهر أوحى بأن أبي بكر كان يكتسب لأهله مئونتهم بالتجارة فلما تولي الخلافة شغل بأمرهم عن الاكتساب و من ثم هم يستحقون مئونتهم من بيت مال المسلمين . كما أن فيه تفخيم للملتفت إليه و هو ،، آل أبي بكر ،، كما أن هذا الأسلوب مكن سيدنا أبا بكر من التنبيه لعموم المسلمين و خواصهم علي استحقاق مؤونة آل أبي بكر من مال المسلمين فما أعظم هذا من خليفة للمسلمين و ما أحوجنا اليوم إلي مثله .

٢– روى الشيخان عن أنس بن مالك : أن أبا بكر الصديق حدثه قال : نظرت إلي أقدام المشركين علي رؤوسنا و نحن في الغار فقلت يا رسول الله لو أن احدهم نظر إلي قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما «[52]».

هذا الحديث يوضح مدى توكل النبي – صلي الله عليه و سلم – علي الله عز و جل – و ثقته به و حفظه له ، في هذا الوقت الذي تضعف فيه القلوب و يتخللها

الخوف من إدراك الأعداء لها و الفتك بها يضرب النبي – صلي الله عليه و سلم – المثل الأعلي في قمة التوكل و الثقة في حفظ الله له :'' و الله غالب علي أمره و لكن أكثر الناس لا يعلمون ''. '' و لينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز''

و موطن الالتفات قوله – صلي الله عليه و سلم – :ما ظنك باثنين الله ثالثهما . حيث انتقل النبي – صلي الله عليه – و سلم من التكلم عن نفسه إلي الغيبة و مقتضى الظاهر ما ظنك بنا و سر العدول عنه إلي الالتفات لما يحدثه في نفس الملتقى من تحريك الانتباه حتى يتقرر في نفسه أمر توكل النبي – صلي الله عليه و سلم – علي ربه و ثقته به فيزداد المؤمنون إيمانا و ثقة بالله كما أن في الانتقال إلي غير مقتضى الظاهر تمكينا للنبي – صلي الله عليه و سلم – من إجراء صفه التوكل علي الله و الثقة به علي نفسه و علي سيدنا أبي بكر الصديق من غير زهو ولا فخر ، و هذا المعني لا يستفاد إذا اجري الكلام و فق مقتضى الظاهر كما أن التعبير مع الالتفات يتمتع بالإيجاز و تنشيط السامع و إيقاظه للاستماع

٣– عن أبي سعد الخدري – رضي الله عنه – كان رسول الله – صلي الله عليه و سلم – يجاور في رمضان العشر التي في وسط الشهر فإذا كان حين يمسى من عشرين ليلة تمضى و يستقبل إحدى و عشرين رجع إلي مسكنه و رجع من كان يجاور معه و انه أقام في شهر جاور فيه الليلة إلي كان يرجع فيها و خطب الناس و أمرهم ما شاء الله ثم قال : ''كنت أجاور هذه العشر ثم قد بدى لي أن أجاور هذه العشر الأواخر فمن كان يعتكف معي فليثبت في معتكفه و قد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها '' ([53])

يبين هذا الحديث أن النبي – صلي الله عليه و سلم – كان يعتكف العشر التي في و سط رمضان ثم يخرج من هذا الاعتكاف هو و أصحابه ليلة إحدى و عشرين ، و في عام ما خرج في هذه الليله و خطب الناس فأمرهم ما شاء الله ثم بين له أنه قد بدى

له أن يعتكف العشر الأواخر فعليهم أن يثبتوا في معتكفهم ، و أنه قد اطلع علي ليلة القدر ثم أنساها الله له .

ذكر البخاري رواية همام لهذا الحديث و فيها " من اعتكف مع النبي " فالالتفات جاء في هذه الرواية من التكلم في قوله : " كنت أجاور هذه العشر ثم قد بدى لي أن أجاور هذه العشر" إلي الغيبة في رواية : " من اعتكف مع النبي " و هذا الخروج عن مقتضى الظاهر يلفت انتباه المخاطبين لتلك السنة و يوقظ الهمم للتمسك بها ، و هذا الافتنان في الحديث و الخروج فيه من صنف إلي صنف يستفتح الآذان للاستماع و يستهش النفوس للقبول .

٤- قالت عائشة – رضي الله عنها – أن وليدة كانت سوداء لحى من العرب فاعتقوها فكانت معهم قالت فخرجت صبيبة لهم عليها وشاح أحمر من سيور قالت فوضعته أو وقع منها فمرت به حدياه و هو ملقى فحسبته لحما فخطفته فقالت فالتمسوه فلم يجدوه قالت فاتهمونى به قالت فطفقوا يفتشون حتى فتشوا قبلها قالت و الله إني لقائمة معهم إذ مرت الحدياه فألقته قالت فوقع بينهم قالت فقلت هذا الذي اتهمتموني به زعمتم و أنا منه بريئة و هو ذا هو قالت فجاءت إلي رسول الله – صلي الله عليه و سلم – فأسلمت " تحكى السيدة عائشة قصة هذه الأمة السوداء التي أعتقها قومها ثم ما كان من قصه و وشاحها الأحمر" [54] .

قال ابن حجر : حتى فتشوا قبلها كأنه من كلام عائشة و إلا فمقتضى السياق أن تقول قبلي ، و في بعض الروايات أن قولها : " حتى فتشوا قبلها " من كلام الوليدة فيكون فيه التفات من التكلم إلي الغيبة و كأن هذه المرأة أرادت أن تلفت المخاطبين إلي قضيتها و قصتها.

٥- حدث أبو ذر أن رسول الله – صلي الله عليه و سلم – قال فرج عن سقف بيتي و أنا بمكة فنزل جبريل – صلي الله عليه و سلم – ففرج صدري ثم غسله بماء

زمزم ثم جاء بطشت من ذهب ممتلئ حكمه و إيمان فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بى إلي السماء الدنيا فلما جئت إلي السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح قال من هذا قال هذا جبريل قال هل معك احد قال نعم معى محمد – صلي الله عليه و سلم –قال: '' أأرسل إليه '' علي رواية الكشمهني '' فعرج به'' [55].

هذا الحديث يحكى قصه شق صدر النبي – صلي الله عليه و سلم – و غسله بماء زمزم

و الالتفات و قع في قوله : '' ثم اخذ يبدى '' علي سبيل التكلم إلي الغائب في قوله : '' فعرج به '' كما في رواية الكشمهني و كأن النبي – صلي الله عليه و سلم – أراد أن يلفت انتباه السامعين الي تلك المعجزة و ذلك الفضل و المنة من الله تبارك و تعالي عليه فما أعظم تلك من نعمه كبرى أراد النبي – صلي الله عليه و سلم – أن يلفت نظرنا إليه و هي تطهير قلبه الشريف من الأحقاد و الأحساد و الضغائن ، و هذا القسم من الالتفات خروج الكلام من سياق التكلم إلي سياق الغيبة يمكن البليغ من الحديث عن نفسه بوجه عام سواء أكان الحديث فخرا كما هنا أم ثناءاً أم مدحًا أم تفخيماً أم إجراء لغير ذلك من الصفات علي النفس .

٦- حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا إبراهيم حدثنا ابن شهاب عن عروة أن عائشة قالت : أهللت مع رسول الله – صلي الله عليه و سلم – في حجة الوداع و كنت ممن تمتع و لم يسق الهدى فزعمت أنها حاضت و لم تطهر حتى دخلت ليلة عرفة و قالت يا رسول الله هذه ليله عرفه و إنما كنت تمتعت بعمرة فقال لها رسول الله – صلي الله عليه و سلم –: '' انقضى رأسك و امتشطي و أمسكي عن عمرتك ففعلت فلما قضيت الحج أمر عبد الرحمن ليله الحصبة فأعمرني من التنعيم مكان عمرتي التي نسكت '' [56]

قال ابن حجر : قوله التي نسكت كذا للأكثر مأخوذ من النسك في رواية أبي زيد المر وزى سكت بحذف النون و تشديد أخره أى عنها و القابسى بمعجمي و التخفيف و الضمير فيه راجع إلي عائشة علي سبيل الالتفات و في السياق التفات آخر بعد التفات و هو ظاهر للتأمل .

هذا الحديث يتحدث عن حكم شرعي و هو حكم من حاضت بعد أن دخلت النسك و علي رواية ابن حجر '' و التي نسكت '' في أخر الحديث و هذه الرواية للأكثر فلا التفات أما علي الرواية الثانية التي ذكرها ابن حجر لأبي زيد المر وزى: '' سكت '' و الضمير راجع إلي عائشة و في هذه الرواية التفات من التكلم في قوله : '' فأعمرني من التنعيم '' إلي الغيبة في قوله: '' التي نسكت'' بضمير راجع إلى عائشة ، و يكون سر هذا الالتفات أن السيدة عائشة – رضي الله عنها – أرادت أن تلفت المخاطبين إلي هذا الحكم الشرعي الذي قد يجهله الكثيرون أو تستحي المرأة ان تسال عنه فكان للخروج عن مقتضى ظاهر المقام أثر عظيم في تطرية نشاط السامع و استدعاء إصغائه لما يلقى إليه من أحكام يجب عليه أن يتنبه لها .

٧– حدثنا عمرو بن علي قال حدثنا عبد الوهاب قال سمعت يحي بن سعيد قال اخبرني سعيد بن إبراهيم أن نافع بن جبير بن مطعم أخبره :'' أنه سمع عروة بن المغيرة بن شعبة يحدث عن المغيرة بن شعبة أنه كان مع رسول الله – صلي الله عليه و سلم – في سفر و أنه ذهب لحاجة له و أن المغيرة جعل يصب الماء عليه و هو يتوضأ فغسل و جهه و يديه و مسح رأسه و مسح علي الخفين '' ([57])

يبين هذا الحديث كيفيه و ضوء النبي – صلي الله عليه و سلم – و الالتفات هنا من التكلم لأن عروة أدى لفظ أبيه المغيرة فكأن المغيرة قال : كنت مع رسول الله – صلي الله عليه و سلم – في سفر إلي الغيبة في قوله : '' و إن المغيرة جعل يصب الماء '' و الذي ألجأ المغيرة إلي العدول عن مقتضى الظاهر هو أنه أراد تنشيط السامع و إيقاظه للاستماع إليه لأهمية ما يلقى إليه و هو تعلم كيفية الوضوء عن رسول الله –

صلي الله عليه و سلم – فالنفس مجبولة علي حب المتجدد ، وإذا نقل الكلام من أسلوب الي أسلوب أخر كان أدعى للإقبال عليه

٨– حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال حدثني مالك عن ابن شهاب عن الأعرج عن أبي هريرة قال : '' إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة لولا آيتان بكتاب الله ما حدثت حديثا ثم يتلو (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البنيات) – إلي قوله – (الرحيم) '' إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق و إن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم و إن أبا هريرة كان يلزم رسول الله – صلي الله عليه و سلم – بشبع بطنه و يحضر ما لا يحضرون و يحفظ ما لا يحفظون (58) .

إن هذا الحديث يبين مكانة أبي هريرة في روايته عن رسول الله – صلي الله عليه و سلم – وملازمته له و حضوره مجالسه و حفظه عنه و عدم انشغاله بالدنيا ، مبينا أن السبب في ذلك هو رغبته – رضي الله عنه أن ينال ثواب التبليغ عن رسول الله .

و الالتفات هنا من التكلم في قوله : ما حدثت حديثا – إن إخواننا إلي الغيبة في قوله : و إن أبا هريرة كان يلزم . وفي هذا الانتقال عن مقتضى الظاهر معني لا يتحقق عن إجراء الكلام وفق مقتضى الظاهر و أن المقام مقام مدح و ثناء و إظهار لمزية و منقبة واحد من الصحابة لذا كان الالتفات أمدح و أعظم ثناء و كأن أبا هريرة يروى الأمر للآخرين تعجبا و استعظاما و ليتمكن من إجراء صفات الملازمة للنبي – صلي الله عليه و سلم – بشبع بطنه ، و حضور مجالسه و حفظه عنه علي هذا الاسم ،، ان أبا هريرة ،، أي عن نفسه كما أن في هذا الالتفات تفخيم للملتفت إليه و هو أبو هريرة .

٩– روى البخاري عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله – صلي الله عليه و سلم – جلس علي المنبر فقال : إن الله خير عبدا بين الدنيا و بين ما عنده ، فاختار ما

عنده فبكى أبو بكر ، وبكى فقال : فديناك بآبائنا و أمهاتنا ، قال فكان رسول الله هو المخير، و كان أبو بكر أعلمنا به،، [59] .

قال شراح هذا الحديث : إن العبد المخير بين الدنيا و زخرفها و نضارتها و أبو بكر حزنا علي فراق صاحبه زهرتها كما في رواية الإمام مسلم و بين الأخره و رضوان الله عز و جل – هو محمد –صلي الله عليه و سلم – فأدرك كبار الصحابة ما قصده النبي – صلي الله عليه و سلم – من قرب أجله ، فبكى سيدنا أبو بكر حزنا علي فراق صاحبه.

وموطن الالتفات في هذا الحديث : إن الله خير عبدا >> فكان مقتضى الظاهر أن يقول : << إن الله خيرني بين الدنيا و الآخرة ، فاخترت الآخرة و لكن النبي – صلي الله عليه و سلم – عدل عن هذا المقتضى تخفيفا لوقع الصدمة علي قلوب أصحابه ، فلو أنه – صلي الله عليه و سلم – أخبرهم أول الأمر بقرب أجله لتصدعت قلوبهم لأنه أحب إليهم من فلذات أكبادهم و من أبائهم و أمهاتهم بل أحب إليهم من أنفسهم . و هنا تتجلي بلاغه الالتفات حينما يعبر عن المعني عن طريق اللمح و الإشارة و بطريق غير مباشر ، و هذا النوع من التعبير عن المعني بتلك الطريقة يكون أكثر تأثيرا من الطرق المباشرة و خصوصا حينما يقتضى المقام و أحوال المتلقين ذلك . ولا يخفى أن الالتفات هنا كان من التكلم إلي الغيبة لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة.

١٠– عن حارثة بن وهب يقول : سمعت النبي – صلي الله عليه و سلم – و ذكر الحوض فقال : كما بين المدينة و صنعاء ، و زاد ابن أبي عدى عن شعبة عن معبد بن خالد عن حارثة سمع النبي – صلي الله عليه و سلم – قوله : ‘‘ حوضه مابين صنعاء و المدينة ’’ [60] .

في هذا الحديث يبين النبي – صلي الله عليه و سلم – اتساع حوضه مابين المدينة المنورة و صنعاء.

و الالتفات من التكلم إلي الغائب في قوله : حوضه >> بدل حوضي و سره البلاغي هو تمكين المخاطب ،، النبي – صلي الله عليه و سلم – من إجراء هذا الوصف علي الحوض.

١١– عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال النبي – صلي الله عليه و سلم –'' لا يأتي ابن آدم النذر بشئ لم يكن قدر له و لكن يلقيه النذر إلي القدر و قد قدر له فيستخرج الله به من البخيل فيؤتيني عليه ما لم يكن يؤتى عليه من قبل'' ([61]) .

هذا الحديث بين أن النذر الذي ينذره الإنسان إنما هو مقدر عند الله تعالي من قبل أن يخرجه من مال البخيل الذي لا يتصدق إلا وفاء لنذر وقع فيه ، ولولا ذلك ما أخرج من ماله شيئا .

الالتفات وقع في رواية ثانيه للحديث و هي ،، لم أكن قدرته ،، فيكون الانتقال من التكلم : ،، لم أكن قدرته،، إلي الغيبة في قوله :،، فيستخرج الله به من البخيل ،، و هذا الخروج عن مقتضى الظاهر قد لفت انتباهنا إلي تلك القضية التي كثيرا ما نغفل عنها وهي التصدق بالمال من غير أن نقع في نذر أو غيره.

١٢– حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب أخبرني عطاء ابن أبي رباح عن جابر بن عبد الله قال : قال النبي –صلي الله عليه و سلم – من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا و ليعتزل مسجدنا و ليقعد في بيته و انه أتى ببدر قال ابن وهب يعني طبقا فيه خضرات من بقول فوجد لها ريحا فسأل عنها فأخبره بما فيها من البقول فقال قربوها فقربوها إلي بعض أصحابه كان معه فلما رآه كره أكلها قال : '' كل فاني أ ناجى من لا تناجى'' ([62]) .

الالتفات وقع في قوله : '' فقربوها إلي بعض أصحابه كان معه '' فمقتضى الظاهر أن يقول إلي بعض أصحابي لذا علق ابن حجر : قوله فقربوها إلي بعض

أصحابه كان معه هو منقول بالمعني لأن لفظه – صلي الله عليه و سلم –قربوها لأبي أيوب فكأن الراوي لم يحفظه فكني عنه بذلك و علي تقدير ألا يكون النبي – صلي الله عليه و سلم – عينه ففيه التفات لأن نسق العبارة أن يقول إلي بعض أصحابي ويؤيد أنه من كلام الراوي قوله بعده كان معه و سر هذا ألالتفات البلاغي هو رغبة النبي في تنفير أصحابه من أكل الثوم أو البصل أو كل ما له رائحة كريهة عند حضور المجالس.

١٣– روى أبو هريرة عن النبي – صلي الله عليه و سلم – أنه قال : اختصمت الجنة و النار إلي ربهما فقالت الجنة يا رب مالها لا يدخلها إلا ضعاف الناس و سقطهم و قالت النار – يعني – أوثرت بالمتكبرين فقال الله تعالي للجنة أنت رحمتي و قال للنار أنت عذابي أصيب بك من أشاء و لكل واحدة منكما ملؤها قال فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحد و أنه ينشئ للنار من يشاء فيلقون فيها فتقول هل من مزيد ثلاثا حتى يضع فيها قدمه فتمتلئ و يرد بعضها إلي بعض و تقول قط قط قط،، [63] .

الالتفات في قوله :،، فقالت الجنة ،، أي من التكلم إلي الغيبة في قوله : ،، ما لها لا يدخلها إلا ضعاف الناس ،، فمقتضى الظاهر أن يقول : مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس ، و كان هذا العدول عن مقتضى الظاهر من أجل لفت انتباه المخاطبين إلي صفات من يدخل الجنة ترغيبا و حثا لهم علي الاتصاف بها ، و خصوصا إذا علمنا أن المراد بضعاف الناس هم الرحماء فيما بينهم ، فالضعف ليس عجزا و إنما هو رحمة و لين و تسامح قال صلي الله عليه و سلم – الا أخبركم بأهل الجنة : كل ضعيف متضعف فالمقام مقام مدح و ثناء لهؤلاء أصحاب الجنة ، لذا كان الانصراف الي الغيبة أمدح و أعظم ثناء و كأن الجنة تذكر صفات أصحابها للآخرين حتى يقبلوا عليها .

١٤– حدثنا ا إسماعيل حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة : أن رسول الله – صلي الله عليه و سلم – قال:،، رجل لم يعمل خيرا قط فإذا مات فاحرقوه و أذروا نصفه في البر و نصفه في البحر فو الله لان قدر الله عليه

ليعذبنه عذاب لا يعذبه أحدا من العالمين فأمر الله البحر فجمع ما فيه و أمر البر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت ؟ قال من خشيتك و أنت أعلم فغفر له ،، [64]

هذا الحديث يبين لنا بعض المعتقدات التي انتشرت عند بعض من لم يؤمنوا بالبعث من عادة إحراق الموتى و ذر ما تبقى منها في البر و البحر فالالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله : ،، فإذا مات فحرقوه ،، و كان مقتضى الظاهر أن يكون : إذا مت فحرقوني ولكن هذا العدول عن مقتضى الظاهر فيه معني التشهير فكأن النبي بهذا الالتفات يحكى هذا الأمر الهام و يرويه لكل عاقل ليستنكره و يستقبحه و يستقبح عقول هؤلاء الذين لم يفكروا بأدني عقل كيف أن الله خلقهم من عدم ؟ ألا يكون قادرا علي بعثهم و المعروف أن البعث أهون من الخلق من عدم .

١٥- عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – عن النبي صلي الله عليه وسلم – أنه قال :'' لو كنت متخذا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا ، و لكنه أخي و صاحبي و قد اتخذ الله صاحبكم خليلا'' [65]

هذا الحديث يبين مكانة سيدنا أبي بكر الصديق من النبي – صلي الله عليه و سلم – فهو بمنزلة الأخ و الصاحب و لو وجد للرسول – صلي الله عليه و سلم – خليل لكان هو ذلك الخليل .

و الالتفات جاء من التكلم في قوله :،، لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكنه أخي و صاحبي ،، إلى الغيبة في قوله : '' و قد اتخذ الله صاحبكم خليلا '' فمقتضى الظاهر يقتضى إتمام هذا الحديث بضمير المتكلم ، لكنه – صلي الله عليه و سلم – عدل عن التكلم إلى الغيبة حتى يحدث في نفوس أصحابه حركة الانتباه قصدا ليتقرر فيها المعني الذي تلتفت إليه و هو اتخاذ الله – تعالي – للنبي – صلي الله عليه و سلم – خليلا و تلك منزلة عالية و فخار ما بعده فخار ، لذا الاسم الظاهر'' صاحبكم '' كان الأليق الانتقال إليه ليتمكن النبي – صلي الله عليه و سلم – من إجراء هذا

المعني عليه من غير عجب ولا زهو ولا رياء ، كما أن فيه تفخيما للملتفت إليه ، كما أن الكلام من بداية الحديث قد طال علي أسلوب واحد و هو التكلم فكره النبي – صلي الله عليه و سلم – أن يسأم الصحابة من الاستمرار علي ضمير المتكلم و أقام نفسه مقام الغائب . و هذا التنوع في الأسلوب من تفنن النبي – صلي الله عليه و سلم – مع أصحابه.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المباركة في رحاب سيد المرسلين نبينا محمد-ﷺ- يمكن أن نستخلص الأتى:

١- لم توجد دراسة مستقلة عن الالتفات في الحديث النبوي الشريف؛ لذا ينبغى علي الباحثين أن يوجهوا عنايتهم لدراسة هذا الأسلوب علي نحو استقرائي وإحصائي في الحديث النبوي.

٢- للالتفات قيم جمالية عامة، وقيم خاصة بكل التفات تتحقق فيه ولا تتحقق في غيره.

٣- لم أعثر علي أحاديث فيما قرأت ورد الالتفات فيها علي صورتين من صوره هما: العدول من الخطاب إلي التكلم، والعدول من التكلم إلي الخطاب.

٤- لم استطع الجزم بخلو أحاديث النبي-ﷺ- من هاتين الصورتين لأنني لم أقم باستقراء شامل وواسع لكل أحاديث النبي-ﷺ- التي وردت في الكتب الصحاح والسنن.

٥- كانت أكثر صور الالتفات دوراناً في حديث النبي-ﷺ- هي صورة الانتقال من التكلم إلي الغيبة تلتها صورة الانتقال من الغيبة إلي التكلم ثم الانتقال من الغيبة إلي الخطاب ثم الانتقال من الخطاب إلي الغيبة.

فهرس المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن – السيوطى.

٢- أسلوب الالتفات دراسة تاريخية فنية / نزيه عبد الحميد السيد فراج- مجلة كلية اللغة العربية- جامعة الأزهر.

٣- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية- د/ حسن طبل.

قبس من أسلوب الالتفات في القرآن الكريم صورة وإيحاء د/ عبد الموجود متولي كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالمنوفية.

٤- إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية- مصطفي صادق الرافعى ط دار الكتاب العربى.

٥- الالتفات وأثره التاريخى د/ المحمدى عبد العزيز الحناوى- مجلة كلية اللغة العربية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٦- الإيضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ط.السنة المحمدية.

٧- البديع- ابن المعتز.

٨- بغية الإيضاح- عبد المتعال الصعيدى.

٩- البلاغة العربية أسسها، وعلومها، فنونها- تأليف وتأمل د/ عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني ط دار القلم.

١٠- البلاغة القرآنية في تفسير الكشاف- محمد محمد أبو موسى.

١١- تاج العروس من جواهر القاموس- الزبيدى- تحقيق مصطفي العدوى.

١٢- ترتيب القاموس المحيط علي طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة- الطاهر أحمد الزوازى.

١٣- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية.

١٤- سنن الترمذي الجامع الصحيح

١٥- شرح عقود الجمان- السيوطى.
١٦- شروح التلخيص.
١٧- شعب الإيمان للبيهقي
١٨- صحيح البخاري.
١٩- صحيح مسلم.
٢٠- الصناعتان- أبو هلال العسكرى.
٢١- ضعيف الجامع للألباني
٢٢- عمدة القاري- شرح صحيح البخاري- العيني حنيطه وصححه عبد الله محمود محمد عمر، ط دار الكتب العلمية
٢٣- فضائل القرآن لمحمد بن الضريس
٢٤- فيض القدير.
٢٥- الكشاف- الزمخشري.
٢٦- المثل السائر- ابن الأثير.
٢٧- مجاز القرآن- أبو عبيدة معمر بن المثني.
٢٨- المطول- سعد الدين التفتازاني.
٢٩- معترك الأقران- السيوطى.
٣٠- معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد د/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي ط. أضواء السلف.
٣١- العمدة- ابن رشيق القيروإني.
٣٢- المستدرك علي الصحيحين للحاكم
٣٣- مفتاح العلوم- السكاكي.
٣٤- نقد الشعر- قدامه بن جعفر.

الحواشى

([1]) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية- مصطفي صادق الرافعى صـــ٣٢٤ ط دار الكتاب العربى.

([2])تدريب الراوي (٤٢/١) ينظر: معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد تأليف د/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي ط. أضواء السلف صـــ ١٣١.

([3]) ترتيب القاموس المحيط علي طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة- الطاهر أحمد الزاوى جـــ٤ صـــ١٥٦ ط دار الفكر.

([4]) تاج العروس من جواهر القاموس- الزبيدى- تحقيق مصطفي الهدوى صـــ ٧٧، ٧٨، جـــ٥.

([5]) البديع لابن المعتز صـــ١٠٦، صـــ١٠٧.

([6]) نقد الشعر، صـــ١٦٧.

([7]) الصناعتين صـــ٤٠٧.

([8]) الصناعتين صـــ٤٠٨.

([9]) العمدة- ابن رشيق، جـــ٢، ص٣٦.

([10]) الكشاف جـــ١، صـــ٦٢ وما بعدها.

([11]) الإيضاح مع البغية جـــ١، ص١١٤، المفتاح صـــ٨٦.

([12]) المطول، صـــ١٣٢.

([13]) البلاغة القرآنية، صـــ٣٧.

([14]) المثل السائر- ابن الأثير، جـــ٢، ص١٧١.

([15]) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ط. السنة المحمدية ٧١/١.

([16]) مجاز القرآن، جـــ٢، صـــ١٣٩، صـــ١٥٢>

([17]) العمدة- ابن رشيق، جـــ٢، ص٣٧، ٣٨ تصحيح النعسإني- مكتبة الخانجى.

([18]) ومن المعروف أن المتأخرين من البلاغيين جعلوا هذا للتوكيد ، وهو الصواب فهذا الذي سماها الأصمعي التفاتاً ليس التفاتاً اصطلاحياً وإنما هو التفات لغوي لأنه انتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر ولا يعده البلاغيون من قبيل الالتفات البلاغي . انظر: أسلوب الالتفات دراسة تاريخية فنية صـــ٢١.

([19]) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: د/ حسن طبل صـــ٤٠٣.

([20]) مواهب الفتاح- ابن يعقوب المغربى- ضمن شروح التلخيص، جـــ١، صـــ٤٦٥.

([21]) المطول: سعد الدين التفتازاني صـــ ١٣١.

([22]) أسلوب الالتفات: د/ نزيه عبد الحميد السيد فراج ، صـــ١١.

([23]) المطول: صـــ١٣١- قبس من أسلوب الالتفات في القرآن الكريم صورة وإيحاء، د/ عبد الموجود متولي، صـــ١١١.

([24]) عروس الأفراح، جـ ١، ص٤٧٣.

([25]) قبس من أسلوب الالتفات في القرآن الكريم، صـ١١١.

([26]) الكشاف، جـ١، ص٦٢.

([27]) المطول، صـ١٣١ – معترك الأقران، جـ١، صـ٣٨٣– الإتقان في علوم القرآن جـ٢، صـ١١١– وشرح عقود الجمان، صـ٢٦ – عروس الأفراح ، جـ١، صـ٤٧٨– قبس من أسلوب الالتفات، صـ ١١٢.

([28]) وفي هذا الشرط نظر، فقد وقع في القرآن الكريم مواضع الالتفات فيها وقع في كلام واحد وإن لم يكن بين جزأي الجملة كقوله تعالى : (والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي) انظر: أسلوب الالتفات صـ١٣.

([29]) المطول: حاشية السيد علي هامش المطول، صـ١٣٣.

([30]) قبس من أسلوب الالتفات في القرآن الكريم، صـ١١٣.

([31]) الكشاف، جـ١، صـ٦٤.

([32]) البلاغة العربية وأسسها، وعلومها، فنونها– تأليف وتأمل د/ عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني، جـ١، ص٤٨٠، ط دار القلم.

([33]) قبس من أسلوب الالتفات في القرآن الكريم، صـ١١٥.

([34]) المرجع السابق صـ١١٥.

([35]) متفق عليه صحيح البخاري – كتاب الإيمان باب إذا لم يكن الإسلام علي الحقيقة – حديث : ٢٧ ، صحيح مسلم – كتاب الإيمان باب تألف قلب من يخاف علي إيمانه لضعفه – حديث : ١٥٠

([36]) عمدة القاري– شرح صحيح البخاري– العيني حنيطه وصححه عبد الله محمود محمد عمر، جـ١، صـ٣٠٦، ط دار الكتب العلمية.

([37]) متفق عليه صحيح البخاري – كتاب التمني باب قوله صلي الله عليه وسلم : " ليت كذا وكذا – حديث : ٧٢٣١

صحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالي عنهم باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه – حديث : ٢٤١٠

عمدة القارئ، جـ٢٥، صـ٦.

([38]) متفق عليه : صحيح البخاري – كتاب الزكاة باب : قدر كم يعطى من الزكاة والصدقة – حديث : ١٣٧٧ ، صحيح مسلم – كتاب الزكاة باب إباحة الهدية للنبي صلي الله عليه وسلم ولبني هاشم وبني – حديث :١٠٧٦

([39]) صحيح البخاري – كتاب الحج باب فرض مواقيت الحج والعمرة – حديث : ١٤٥٠

([40]) صحيح البخاري – كتاب الإيمان باب : الجهاد من الإيمان – حديث : ٣٦

([41]) متفق عليه : صحيح البخاري – كتاب العلم باب : ليبلغ العلم الشاهد الغائب – حديث : ١٠٤ ، صحيح مسلم – كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها – حديث : ١٣٥٤

([42]) متفق عليه : صحيح البخاري – كتاب الوضوء باب قراءة القرآن بعد الحدث وغيره – حديث : ١٨١ ، صحيح مسلم – كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه – حديث :٧٦٣

([43]) صحيح مسلم – كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلي الله عليه وسلم إلي – حديث :١٥٣

([44]) فضائل القرآن لمحمد بن الضريس – باب في فضل خاتمة الكتاب حديث : ١٤١، شعب الإيمان للبيهقي – ذكر فاتحة الكتاب حديث : ٢٢٧٣ ، فيض القدير، جـ٢، صـ٢١٣.

([45]) صحيح البخاري – كتاب الوضوء باب : لا تستقبل القبلة بغائط أو بول – حديث : ٢٣٨٧٠١٤٣ ، فيض القدير، جـ١، صـ٢٣٩..

([46]) صحيح مسلم – كتاب السلام باب من حق المسلم للمسلم رد السلام – حديث :٢١٦٢

([47]) متفق عليه : صحيح البخاري – كتاب الحيض باب المرأة تحيض بعد الإفاضة – حديث : ٣٢٨ ، صحيح مسلم – كتاب الحج باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض – حديث :١٢١١ بلفظ : " فاخرجن"

([48])متفق عليه : صحيح البخاري – كتاب الرقاق باب الانتهاء عن المعاصي – حديث : ٦١١٨ ، صحيح مسلم – كتاب الفضائل باب شفقته صلي الله عليه وسلم علي أمته ومبالغته في تحذيرهم – حديث :٢٢٨٤

([49])المستدرك علي الصحيحين للحاكم – كتاب الحدود وأما حديث شرحبيل بن أوس – حديث : ٨٢٧٦ ، سنن الترمذي الجامع الصحيح – أبواب الجنائز عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أبواب الحدود عن رسول الله صلي الله عليه وسلم – باب ما جاء في درء الحدود حديث : ١٤٨٩

([50]) فيض القدير: جـ٣، صـ٥٣ (تحقيق الألباني : (ضعيف) ينظر حديث رقم: ١٣٤٠ في ضعيف الجامع) .

([51]) صحيح البخاري – كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده – حديث : ١٩٦٤

([52]) متفق عليه : صحيح البخاري – كتاب تفسير القرآن سورة البقرة – باب قوله : ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول حديث :٤٦٦٣ ، صحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالي عنهم باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه – حديث : ٢٣٨١

([53]) متفق عليه : صحيح البخاري – كتاب صلاة التراويح باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر – حديث :١٩١٤ ، صحيح مسلم – كتاب الصيام باب فضل ليلة القدر – حديث :١١٦٧

([54]) صحيح البخاري – كتاب الصلاة أبواب استقبال القبلة – باب نوم المرأة في المسجد حديث : ٤٢٨

([55]) صحيح البخاري – كتاب الصلاة باب : كيف فرضت الصلاة في الإسراء ؟ – حديث : ٣٤٢

([56]) صحيح البخاري – كتاب الحيض باب امتشاط المرأة عند غسلها من المحيض – حديث : ٣١٠

([57]) صحيح البخاري – كتاب الوضوء باب : الرجل يوضئ صاحبه – حديث : ١٨٢،١٨٠

([58]) صحيح البخاري – كتاب العلم باب حفظ العلم – حديث : ١١٨

([59]) متفق عليه : صحيح البخاري – كتاب المناقب باب قول النبي صلي الله عليه وسلم : " سدوا الأبواب – حديث :٣٦٥٤ ، صحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالي عنهم باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه – حديث :٢٣٨٢

([60]) متفق عليه : صحيح البخاري – كتاب الرقاق باب في الحوض – حديث : ٦٢٢٩ ، صحيح مسلم – كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا صلي الله عليه وسلم وصفاته – حديث : ٢٢٩٨

([61]) صحيح البخاري – كتاب الأيمان والنذور باب الوفاء بالنذر – حديث : ٦٣١٦

([62]) متفق عليه : صحيح البخاري – كتاب الأذان أبواب صفة الصلاة – باب ما جاء في الثوم الني والبصل والكراث حديث :٨٠٧ ، صحيح مسلم – كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها – حديث : ٥٦٤

([63]) متفق عليه : صحيح البخاري – كتاب التوحيد باب ما جاء في قول الله تعالي : إن رحمة الله – حديث :٧٠١١ ، صحيح مسلم – كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء – حديث : ٢٨٤٦

([64]) متفق عليه : صحيح البخاري – كتاب التوحيد باب قول الله تعالي : يريدون أن يبدلوا كلام الله – حديث : ٧٠٦٧ ، صحيح مسلم – كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالي وأنها سبقت غضبه – حديث : ٢٧٥٦

([65]) صحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالي عنهم باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه – حديث : ٢٣٨٣